التحدّيات المعاصرة للسنة النبوية وموقف علماء الهند منها

سيد عبد الماجد الغوري
الباحث في معهد دراسات الحديث النبوي
المحاضر في قسم الكتاب والسنة
الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور (ماليزيا)

ملخص البحث:

لقد ظهر قديماً العديدُ منالفِرَق والطوائف مثل "الخوارج" و"الجهمية" والرافضة" و"المعتزلة"...، التي ذهبت إلىإنكار السنة النبوية وقيمتها التشريعية بدوافع مختلفة وأغراض متعددة، ولكن لم يُكتَب لها البقاء لطويل الأمد حيث انتهى وجودها بنهاية القرن الثالث الهجري. ولكن استيقظت تلك الفتنةُ من جديد في هذا العصر مِن قبيل بعض عَبِيد الفكر الغربي، الذين حاولوا اغتيال السنة النبوية والإجهازَ عليها، بكلِّ ما استطاعوا من قُوَّة، وما مَلَكوا من حيلة.فمِنهم مَن تولَّوا حملات التشكيك في ثبوت السنة، أو في الرواة المشاهير كأبي هريرة ﷺ.ومِنهم مَن حَمَلوا لواءَ الطَّعنِ في حُجِّيَّتها ومصدريتها لتشريع الإسلام وتوجيهه زعماً منهم أنهم استغنوا بالقرآن الكريم عنها!.وقد ظهرت تلك الفتنة في بلاد القارة الهندية إبان الاستعمار البريطانيونشطت فيها بدعم كامل منه، ووقف عليها بالمرصاد علماءُ هذه البلاد الغيورين على السنة النبوية، وقاوموها مقاومةً شديدةً، وبذلوا في القضاء عليها جهوداً كبيرة، التي أثمرت فيما بعد نتائجَ طيبةً حيثُ خفَّ تأثيرهاإلى حدّ كبير. وهذا البحث الذي في صدد تعريف تلك الفتنةيشتمل علىمبحثَين،أولهما: في تاريخ "فتنة إنكار السنة" في القارة الهندية وأبرز أصحابها.والثاني: في تعريف جهود علماء الهند في الدفاع عن السنة والرد على منكريها من خلال الكتابة والتأليف.والخاتمة، التي تشتمل على أهم نتائج البحث وتوصيات الباحث.

المبحث الأول

"فتنة إنكار السنة" في القارة الهندية، تاريخها وأصحابها:

إنّ الهند واحدة من تلك البلدان السعيدة التي انتشر فيها الإسلام في عصر مبكّر، وتمتَّع بعض مناطقها في القرن الثاني والثالث الهجري بحكم عربي الذي كان خاضعاً للخلافة الأموية ثم العباسية، وفي عهد

هذا الحكم لقد توافد إلى هذه البلاد الكثيرُ من رواة الحديث، ونشروا فيها الحديث والسنة، حتى أصبحت لبعض مناطقها شهرةٌ واسعةٌ في ذلك، مثل: "دِيْبَل" و"مُلْتان"و"منصورة" وغيرها، التي يذكرها المؤرخون في كتبهم بسبب كثرةعناية أهلها بالحديث والسنة نشراً وتدريساً.

واستمرّ الأمر في نشر الحديث والسنة في هذه البلاد عن طريق المحدثِّين العرب إلى أنْ انقطع ذلك الحكم عن مناطقها، ثم فتر النشاط في ذلك، ولم يزل الأمر هكذا حتى القرن العاشر الهجري، الذي نبغ في هذه البلاد محدِّث كبير وعالم جليل،وهو الشيخ عبد الحقّ الدِّهْلَوي (ت١٠٥٢هـ)، الذي أول من قام في هذه البلاد بتدريس الحديث النبوي من الأصول الستة، وأدخلها لأول مرة في المنهج التعليمي السائد وقتئذ في شمالي الهند[١]. ثم أكرم الله - سبحانه وتعالى - هذه البلادَ بعالم فذّ، وعَلَم شامخ في الحديث النبوي، وهو الإمام شاه وليّ الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ)، الذي أجمع العلماء والمؤرِّخون[٢] على أنه رائد النهضة الحديثية في هذه البلاد، وكان - رحمه الله تعالى - قد وقف حياتَه كلها في نشر الحديث النبوي في هذه البلاد تدريساً وتأليفاً، حتى تكوَّنت من جهوده المباركة في ذلك مدرسةٌ حديثية كبيرة تخرَّجت فيها نخبة مباركة من المحدِّثين الذين لهم دور عظيم في خدمة الحديث النبوي في هذه البلاد، وقامت بجهودهم نهضةٌ حديثيةٌ في هذه البلاد لا تزال تُؤتي أُكُلَها.

ولم تَعرِف الهندُ في هذه الحقبة الطويلة من تاريخها الإسلامي أيةَ فتنةٍ سعت إلىإنكار السنة النبوية والتشكيك في حجيتها، بل الأمرُ كان عكس ذلك تماماً،حيث كانت هناك خدمات جليلة وجهود مشكورة في نشر السنة بشتى الطرق والوسائل، والتي غنية عن التعريف بها هنا. فلذلك من السهل للباحث تحديدُ الفترة التي ظهرت فيها هذه الفتنة في هذه البلاد بأنها أواخر القرن الثالث الهجري، عندما نشب الاستعمار البريطاني براثنه في هذه البلاد،وسيطر المنصِّرون عليها تحت رعاية الحكومة البريطانية، "فتأثَّر كثير من مؤيِّديها بحملاتهم التنصيرية، وظهرت آثارها في كتاباتهم إما بحُسن نية لأنهم ما عرفوا غير ذلك، وإما بخطة مدبَّرة من جهة الاستعمار لتمزيق صفوف المسلمين وتشتيت وحدتهم. فهبَّت في هذه البلاد عواصف إلحادية عديدة، بعضها أشدّ من بعضٍ، فكان المستفيد الأول منها الاستعمار البريطاني في تحقيق أهدافه الخبيثة ضد الإسلام"[٣]، فنشأ تحت رعايته العديد من الطوائفوالجماعات المنحرفة عن عقيدة الإسلام مثل: "البِدَعِيّة"(أي: البريلوية) و"الإلحادية"، وكذلك الطوائف الخارجة عن الإسلام مثل: "القاديانية"، والحركات المشكِّكة في السُّنّة مثل:"العصرانية" و"العقلانية" و"القرآنيين" وغيرها، التي سأتحدَّث عن كل منها بالتفصيل في هذا المبحث، الذييشتمل

[١] انظر للاطلاع على مساهمته في خدمة الحديث في هذه البلاد "**الشيخ عبد الحق الدهلوي وإسهامه في الحديث النبوي**" للباحث، المنشور في مجلة "الحديث" (الصادر عن معهد دراسات الحديث النبوي بسلانجور في ماليزيا)، العدد الرابع، السنة الثانية، صفر ١٤٣٤هـ/٢٠١٢، ص١٠٧، ١٣١.

[٢] من أمثال: الأمير صديق حسن خان القنوجي في كتابَيْه "**الحطة في ذكر الصحاح الستة**"، ص٢٥٦ و٢٥٧، و"**أبجد العلوم**"، ص٧٠٩، والشيخ عبد الحي الحسني، في كتابه "**نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**"، ج٦، ص٨٥٦.

[٣] صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩١.

على مطلبَين، أولهما في تعريف الاتجاهات والجماعات التي أثارت الشكوك والشبهات حول السنة دون إنكارها الصريح، والثاني في تعريف تلك الفِرَق والحركات التي ذهبت إلى إنكار السنة وحجيتها كلياً.

المطلب الأول: الاتجاهات والجماعات التي أثارت الشكوك والشبهات حول السنة:

(أ)المدرسة العصرانية:

وهي الحركة التي سعت إلى تطويع مبادئ الدين لقِيَم الحضارة الغربية ومفاهيمها، وإخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شؤون الحياة[٤]، وكان أشهر أصحاب هذا الاتجاه: السيد أحمد خان وأتباعه في الهند[٥]، والذين سأتحدث عنهم.

يُعتبَر السيدُ أحمد خان (١٢٣٢-١٣١٥هـ/١٨٩٨م) رائدَهذه المدرسة في العالم الإسلامي، وكان نموذجاً كاملاً لها،وكان لشخصيته نفوذ كبير وتأثير واسع في الهند، إذ هو رائد النهضة التعليمية بين المسلمين في الهند، ومؤسس أول جامعة عصرية لهم التي اشتهرت بـ"جامعة عليكره الإسلامية"، والتي تُعَدّ اليوم في كبرى الجامعات الهندية. فلذلك عدَّه الدكتور أحمد أمين (ت١٣٧٣هـ) في زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ووصفه بأنه: "في الهند أشبه بالشيخ محمد عبده في مصر"[٦] في إصلاح العقلية بالتثقيف والتهذيب. أما من ناحية تضلُّعه من العلوم الشرعية وتديُّنه فيقول المؤرخ الشيخ عبد الحي الحسني (ت١٣٤١هـ): "هو ما أتقن فناً، وتصانيفُه شاهدة على ما قلتُه، فإنْ رأيت مصنَّفاته علمت أنه كان كبيرَ العقل، قليل العلم، ومع ذلككان - سامحه الله تعالى- قليل العمل، لا يصلِّي ولا يصوم غالباً"[٧].

وكان السيدخان معجباً جداً بنهضة الغرب في مجال العلم، ولكنه في الوقت نفسه كان شديد المخالفة مع التبشير النصراني في الأمور الدينية، الذي كان يبيض ويفرخ في القارة الهندية في ظلّ الاستعمار،فقد كتب كثيراً ضد أعداء الإسلام دفاعاً عنه، لكنه انبهر أخيراً أمام الحملات النصرانية المدبّرة، ولجأ إلى تأويل النصوص، ورأي الاعتماد على المنطق والبرهان، "وأخذ يفسِّر القرآن ويدعو إلى أنّ القرآن إذا فُهِم فهماً صحيحاً؛ اتَّفق مع العقل، وأنّ النظر الصحيح فيه يُوجِب الاعتماد على روحه، أكثر من الاعتماد على حرفيته، وأنه يجب أن يُفسَّر على ضوء العقل والضمير"[٨]، فأقدم على تفسير القرآن متخذاً عقله هو أساساً لهذا التفسير، غير ملتزمٍ للألفاظ ودلالته، ولا لما أجمع عليه علماء المسلمين على مرّ الزمن، وأوَّل النصوصَ التي لم توافق طبيعته وعقليته تأويلاً لا تتحمَّله اللغة العربية وقواعدها، فأنكر المعجزات،والجنةَ والنار والملائكة والجنّ، وأنكرالأحاديثَ النبوية الصحيحة التي خالفت عقله حسب زعمه، فقبل ما شاء منها ورفض ما شاء منها، وأخذ يشتم الأئمةَ الفقهاء،

[٤] محمد سعيد بسطامي، **مفهوم تجديد الدين**، ص٩٦، ٩٧.

[٥] محمد أبو الليث الخيرآبادي، **اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها**، ص٨١.

[٦] أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، ص١٢١.

[٧] عبد الحي ا لحسني ، **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، (١١٧٥/٨).

[٨] أحمد أمين، زعماء **الإصلاح في العصر الحديث**، ص١٣٠، ١٣١.

ويستهزئ بالمحدِّثين وبالشعائر الإسلامية، وقرَّر أن القرآن نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعنى فقط، ثم صاغ الرسول ألفاظه من عنده[٩].

وهذه الأفكار قد هيَّجت الرأيَ العام المسلم ضد السيد أحمد خان، وزاد تشديد النكير عليه من العلماء حتى حكموه بكفره، وحذَّروا الناسَ من أن يقعوا فريسةً لعقليته المعاصرة، ونتيجةً لذلك ابتعد المسلمون عن قبول أفكاره، ولم يستفيدوا حقَّ الاستفادة مما كان يقترحه لهم حول الإسهام في التعليم الإنجليزي المعاصر لمسايرة ركب الحياة زمن الاستعمار.

موقف السيد أحمد خان من السنة:

لقد ظهر موقف السيد أحمد خان من السنة من خلال مقالاته التي كان يكتبها في مجلات مختلفة، والتي قام بجمعها وترتيبها الأستاذ محمد إسماعيل في مجلدين، وأنقل هنا مما جاء فيها من آرائه حول السنة، وهو يتدرَّج من خلالها إلى التشكيك في السنة:

١) أنه شكَّك في كيفية تدوين السنة،فقال في إحدى مقالاته: "ظلّت الروايات بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تتناقل على الألسنة إلى عهد التصنيف في الكتب المعتمدة، غير أننا لا نستطيع أن نغضّ الطرف عن الكيفية التي دُوِّنت بها تلك الكتب، التي كان مبناها روايات الذاكرة... والبُعْدُ الزمني بين وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين تدوين الأحاديث يفتح البابَ على مصراعيه ليدخل إليها ما ليس منها"[١٠].

ويقول في مكان آخر: "أن السنة لم تُدوَّن في العهد النبوي، بل دُوِّنت في القرن الثاني من الهجرة في عصر مضطرب بالصراعات السياسية والاختلافات الدينية، مما كان له أثرُه في كثرة الأحاديث الموضوعة"[١١].

ويقول: "إنَّ ما دُوِّن في كتب الحديث إنما هو ألفاظ للرواة، ولا نعرف ما بين اللفظ الأصلي الصادر من شَفَتَيْه صلى الله عليه وسلم والمعبّر به، من وفاقٍ أو خلافٍ، وليس من العجب أن يُخطئ أحد الرواة في فهم الحديث، مما يكون سبباً في ضياع المفهوم الصحيح"[١٢].

وبناءاً على رأيه ذلك،فقد وضع قاعدةً في عدم اتِّباع المسلمين تلك الأحكام التي استُنبطت من تلك الأحاديث، فقال: "إن الأحكام المستنبطة من السنة بوجهٍ عامٍّ أحكام لا يجب على المسلمين اتباعها، وأنّ ما استخرجه العلماء من نصوصها الحالية إنما هي أحكام اجتهادية، لا نصية فيها ولا حتمية، لاحتمال ألا يكون ذلك مقصوده صلى الله عليه وسلم"[١٣].

---

[٩] انظر: عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٤٤، ٤٥. صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩٤.

[١٠] السيد أحمد خان، **مقالات سَرْ سَيّد**، (٣٢/١).

[١١] المرجع السابق: (٤٩/١).

[١٢] المرجع السابق: (٢٣/١).

[١٣] المرجع السابق: (٦٩/١).

٢) أوَّل تأويلاتٍ عقليةً واهنةً في الغيبيات الواردة في الأحاديث النبوية[١٤].

٣) عاتب أئمةَ الحديث على أنهم لم يُفصِحوا متونَ السنة، بل جلُّ نقدِهم كان للسند ورجاله، وقال: "إنّ مساعي المحدِّثين لم تتجاوز توثيق الرواة أو جرحهم، بعد أن مضى على وفاتهم زمنٌ طويل، ثم أعقب ذلك دور التحقيق عنهم، بحيث يكون هو العمدةُ في قبول الحديث وردّه، فإن لم يكن هذا الأمر مستحيلاً، فلا يخلو أن يكون في غاية الصعوبة[١٥].

٤) أنكر الأمورَ الخارقة للعادة، الواردة في السنة النبوية بحجة أنها مخالفةٌ للقوانين الطبيعية والخلف غير واردٍ في القوانين الطبيعية[١٦].

٥) أنكر كلَّ ما ورد في السنة من الأحاديث في الجنّ[١٧].

وكانت هذه بعض آراء السيد أحمد خان في السنة، والتي أثار من خلالها الشبهات حولها،وقد ردَّ عليها الكثيرُ من علماء الهند في كتبهم، كما سيأتي الحديث عنها في المبحث الثاني.

وبعد وفاة السيد أحمد خان حمل لواءَ أفكاره تلميذُه "مولوي جِراغ علي" (١٨٤٤-١٨٩٥م)، الذي تأثَّر كثيراً بأفكاره الغربية والغريبة عن الإسلام.وكانت لهذا الرجل صلات وطيدة بـ"مرزا غلام أحمد القادياني" مؤسِّس طائفة "القاديانية"، بل كان من مساعديه في تأليف كتاب "براهين أحمدية" الذي يعتبره القاديانيون كتاباً مقدّساً عندهم[١٨]. وكان لـ"جراغ علي" دور كبير في ترسيخ أُسُس أفكار السيد أحمد خان، التي دافع عنها ودعا إليها طول حياته، وحاول صبغ الإسلام بالحضارة الغربية مثل أستاذه السيد خان، فأوَّل نصوصَ الإسلام بما يتلاءم مع الحياة الغربية[١٩].

ومن موقفه من السنة: أنه أوَّل كلمةَ الجهاد، وطعن في الأحاديث التي تحثّ عليه[٢٠]. وكان يقول: "إن الأحاديث لم يصح منها إلا القليل"[٢١]. وكذلك من أقواله في الحديث النبوي: "إنَّ معايير الصدق والأصول العقلية لا حاجة إليها لتمييز الحديث صحيحه من سقيمه؛ لأن الحديث في حدّ ذاته شيءٌ لا يمكن الاعتمادُ عليه"[٢٢].

فكانت أفكار السيد أحمد خان وأفكارُ تلميذه هذا، قد مهّدت الطريقَ لتأسيس حركة "أهل القرآن" التي سأتحدَّث عنها في المطلب الآتي؛ وذلك لأجل مكانة الأول العلمية المرموقة في الأوساط المسلمة في الهند، فتأثَّر بأفكاره في التشكيك في السنة النبوية، بعضُ أدعياء العلم،ثم تعدَّى ذلك إلى

---

[١٤] المرجع السابق: (١٢٨/١).

[١٥] المرجع السابق: (٤٩/١).

[١٦] المرجع السابق: (٣٢/١).

[١٧] المرجع السابق: (٨١/١).

[١٨] أبو الحسن علي الحسني الندوي، **القادياني والقاديانية دراسات وتحليل وعرض علمي**، ص١٧٧.

[١٩] انظر: محمد أبو الليث الخيرآبادي، **اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها**، ص٨٦.

[٢٠] جراغ علي، **تحقيق الجهاد**، ترجمة: غلام حسين وعبد الغفور، ص١٨٥، ٢٢١.

[٢١] جراغ علي، **تحقيق الجهاد**، ص١٢١.

[٢٢] جراغ علي ونواب يار جنغ، **أعظم كلام**، ترجمة: مولانا عبد الحق، (٢٠/١).

صفوف المسلمين، واستفحل بمرور الزمن، حتى نادوا بكفاية القرآن في أمور الدين، وأنه لا حاجة إلى السنة إلا فيما يوفق هواهم[٢٣]، كما سيأتي الحديث عنهموعن موقفهم من السنة في المطلب الآتي.

(ب) المدرسة العقلانية:

وهي التوجُّه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يُلائِم مع المفاهيم المستقرّة لدى الغربيين، ومع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر، وتتفاوت رموز تلك المدرسةِ تفاوُتاً كبيراً في موقفها من النص الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في تأويل النصوص، سواء كانت نصوص العقيدة، أو نصوص الأحكام، أو الأخبار المحضة، وفي ردّ ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل[٢٤].
ويصح إطلاق هذه المدرسة على مدرسة الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٣هـ) في مصر[٢٥]، التي من أبرز خرّيجيها: المؤرخ الكاتب الدكتور أحمد أمين (ت١٣٧٣هـ)، وإسماعيل أدهم (ت١٣٥٩هـ)، ومحمود أبو رية (ت١٩٧٠م)، وغيرهم، الذين أثاروا الشكوك حول السنة بعدم أهليتها لتساير مع العصر في نظرهم.

وأما أصحاب هذه المدرسة في الهند فهم إنْ لم يذهبوا قطّ إلى إنكار السنة مذهب محمود أبي ريه وأمثاله، ولكنهم أدلوا بين الحين والآخر آراءاً غريبةً تؤدّي إلى التشكيك في السنة والاستخاف منها كما سأشير إلى بعض منها،والتي ما زالت خفيةً على الكثيرين.

موقف هذه المدرسة من السنة:

وكان من أبرز أصحاب هذه المدرسة في القارة الهندية: الأستاذ أبو الأعلى المودودي ثم بعض المتأثرين به أمثال الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي والأستاذ جاويد أحمد الغامدي، فها هو موقفهم من السنة أبيِّنه فيما يلي مع تقديم نبذة من تراجمهم قبل ذلك:

الأستاذ أبو الأعلى المودودي (١٣٢١-١٣٩٩هـ):

كان من طليعة المفكرين والمؤلّفين الإسلامين في هذا العصر. وُلد مدينة "أَوْرَنْغَ آباد" بالهند. تلقَّى الدراسة البدائية في البيت. اتَّجه إلى الصحافة في عنفوان شبابه وعمل بها مدةً. أنشأ الجماعة الإسلامية في عام ١٩٤١م، وانتخب أميراً لها. ومع إعلان قيام دولة باكستان في سنة ١٩٤٧م، انتقل مع زملائه إلى لاهور، واستقر هناك. مُنح جائزةَ الملك فيصل العالمية تقديراً لجهوده في خدمة الإسلام. توفي بنيويورك. بلغ عدد مؤلفاته (١٢٠) مصنفاً ما بين كتاب ورسالة، ومن أبرزها: "تفهيم القرآن"، و"الجهاد في سبيل الله"، و"المصطلحات الأربعة في القرآن"، و"الحجاب"، و"مبادئ الإسلام"، و"الربا"، والقرآن والحديث"، و"مكانة السنة التشريعية"[٢٦].

---

[٢٣] صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩٤.

[٢٤] سلمان بن فهد العودة، **في حوار هادئ مع محمد الغزالي**، ص٩.

[٢٥] محمد أبو الليث الخيرآبادي، **اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها**، ص٨١.

[٢٦] انظر: محمد خير رمضان يوسف، **تتمة الأعلام للزركلي**، (٧٣/١).

ولا مجالَ للإنكار أنَّ الأستاذ المودودي كان أحدَ أقطاب الفكر الإسلامي وكبار المؤلفين الإسلاميين في هذا العصر، لقد أثرى المكتبةَ الإسلامية بعطاءاته العلمية الجمة في مجال الفكر والدعوة، وتأثَّر بها الكثير من الكُتَّاب الإسلاميين من أمثال الشهيد سيد قطب (ت١٣٨٥هـ) وغيره، ولكنه - للأسف - دخل خلال كتاباته في بعض المواضع الشائكة التي لم يكن يُحسِنها، فوقع في الأخطاء والزّلاّت، مع أنه - رحمه الله تعالى - من الذين دافعوا عن السنة النبوية دفاعاً مستميتاًعندما أنكرها "القرآنييون"، وردَّ عليهم ردوداً علميةً قويةً، ولكنه بنفسه لم يسلم من إثارة بعض التأويلات العقلية حول السنة، ومنها بعضُ هذه الأحاديث الصحيحة التي لم يوافق عقله فرفضها بغضِّ النظر عما ورد فيها من أقوال كبار علماء الحديث:

١) حديث الكذبات الثلاث: وهو الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[٢٧] عن أبي هريرة رضي الله عنهأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَمْ يَكْذِبْ إبْرَاهِيْمُ النبيُّ- عَلَيْهِ السَّلاَمُ - قَطُّ إلاَّ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذاتِ اللهِ، قَوْلُهُ: "إِنِّيْ سَقِيْمٌ"، وَقَوْلُهُ: "بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هذا"،وَوَاحِدَةً فِيْ شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: "إنَّ هَذا الْجَبَّارَ، إنْ يَعْلَمَ أَنَّكِ امْرَأَتِيْ، يَغْلِبُنِيْ عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيْهِ أَنَّكِ أُخْتِيْ، فَإِنَّكِ أُخْتِيْ فِي الإِسْلاَمِ..."».

وردَّ الأستاذ المودودي هذا الحديثَ بكل قناعة في كتابه "تفهيم القرآن" لدى تفسير الآية ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] فقال: "ولسُوء الحظِّ ورد في إحدى الروايات أنّ إبراهيم - عليه السلام - كذب في حياته ثلاث كذبات: إحداها قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هَذَا﴾[الأنبياء: ٦٣]، والثانية قوله: ﴿إِنِّيْ سَقِيْمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، والثالثة قوله في سارة: "إنها أختي"، وهي لم تُذكَر في القرآن، بل ورد ذكرُها في باب الولادة من الإنجيل"[٢٨]، ثم أطال الأستاذ كلامه حول هذا الحديث محكِّماً عقله في نقده، ورماه بأنه رواية إسرائيلية مهملة لاغية خرقاء[٢٩].

٢) حديث سليمان عليه السَّلام: "لأَطُوْفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِيْ": الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه[٣٠] عن أبي هريرة رضي الله عنهعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لأَطُوْفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِيْنَ امْرَأَةً، تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِساً يُجَاهِدُ فِي سَبِيْلِ اللهِ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُه: إنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ، وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئاً إلاَّ وَاحِداً سَاقِطاً إِحْدَى شِقَّيْهِ. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوْا فِي سَبِيْلِ اللهِ».

ويقول الأستاذ المودودي في هذا الحديث: "هذا الحديثُ أورده الإمام البخاري في كتاب الأنبياء، وكتاب الجهاد، وكتاب الأيمان والنذور. واختلفت الروايات في تعيين عدد نساء سليمان - عليه

---

[٢٧] مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، **الصحيح**، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، ص١٠٤١، برقم (٢٣٧١).

[٢٨] أبو الأعلى المودودي، **تفهيم القرآن**، (٣/١٦٨،١٦٧).

[٢٩] انظر: صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص١٦٧، ١٧٦.

[٣٠] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **الصحيح الجامع**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾، ص٦٣٠، رقم الحديث (٣٤٢٤).

السلام - ما بين ستين وسبعين وتسعين وتسع وتسعين ومئة. وأسانيدُ هذه الروايات متعددة، وما وصل إلى المحدِّثين من هذه الأسانيد المتعددة يصعب القول فيه بأنه لا أصل له قطعاً. بل يظهر إما أنه وقعت زلّةٌ في فهم أبي هريرة رضي الله عنه(راوي هذا الحديث) لكلام النبي صلى الله عليه وسلم، أو أنه لم يستطع أن يسمع الحديثَبكامله"[٣١].

ثم أعطى الأستاذ المودودي الحديثَ صيغةً جديدةً، وصهره في قالب جديد من عنده فقال: "يمكن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنّ سليمان - عليه السلام - كانت عنده نساء كثيرات، عددُهن على ما تقول اليهود (ستين وسبعين وتسعين وتسع وتسعين ومئة)، ففهم أبو هريرة رضي الله عنهأنه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم"[٣٢].

ثم أتى الأستاذ إلى الشبهة الأخيرة، وهي استحالة طواف سليمان - عليه السلام - على نسائه في الليلة الواحدة وقال: "وكذلك يمكن أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن كلامَ سليمان - عليه السلام - أنه يطوف على نسائه، ويولد من كل منهن مجاهدٌ، ففهم أبو هريرة رضي الله عنهأنه قال: إنه يطوف عليهن في الليلة الواحدة"[٣٣].

ثم جاء الأستاذ يبرهن على سقوط هذا الحديث من درجة الاعتبار، مغمضاً عينيه من أقوال أئمة الحديث في تأويله، فقال: "توجد مثل هذه الأمثلة لسوء الفهم في روايات عديدة، ربما وضّحته روايات أخرى، وبعضها تبقى غامضةً. ووقوعُ مثلِ هذا، في الروايات الشفوية ليس من العجب في شيء..."[٣٤].

فالأستاذ المودودي من خلال كلامه هذا، فقد ردَّد نفسَ الشبهات التيثُيرها منكرو السنة، وسايَر ركبهم أحياناً في بعض الأحيان[٣٥].

٣) حديث "الجَسَّاسة": الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[٣٦]، وروتْه فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يحدِّث الناسَ عن الدَّجّال، كما سمعه من تميم بن أوس الدَّاري (ت٤٠هـ) الذي كان نصرانياً ثم جاء فأسلم، وحدَّث النبيَّ صلى الله عليه وسلم بحديثٍ يُوافِق ما كان يحدِّث صلى الله عليه وسلم أصحابَه عن الدجال وصفتِه، كما رُوي عنهصلى الله عليه وسلم: «وحَدَّثَني (أي تميم) حَدِيثاً وافَقَ الَّذِيْ كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيْحِ الدَّجّالِ ...»، والحديثُ طويلٌعند مسلم في صحيحه.

---

[٣١] أبو الأعلى المودودي، **الرسائل والمسائل**، (٣٢/٢).

[٣٢] المرجع السابق: (٣٢/٢).

[٣٣] المرجع السابق: (٣٢/٢).

[٣٤] المرجع السابق: (٣٢/٢).

[٣٥] انظر: صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص١٨٤، ١٨٦.

[٣٦] مسلم بن الحجاج القشيري، **الصحيح**، كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، ص١٢٧٥، ١٢٧٧، برقم (٢٩٤٢).

وهذا الحديثُ مع صحته لم يوافق عقلَ الأستاذ المودودي فذهب إلى التشكيك في صحته، وما جاء فيه عن الدجال، فقال ردّاً على سؤال وُجِّه إليه: "هذا المسيح الدجال وغيره من الأساطير، التي ليست لها أية حيثية شرعية، وأيضاً لسنا في حاجة إلى البحث عن مثل هذه الأشياء، والإسلامُ ليس مسئولاً عما اشتهر بين العامة من الناس من هذه الأمور"[٣٧]. وكذلك قال في ردّهعلى سؤال آخر عن حديث الدجال: "إن الأمر الذي تحققتُ في أنه أسطورة، هو ذلك الوهم الذي يؤكِّد أن الدجال محبوس في مكان ما"[٣٨]. وكذلك قال في أحد الردود على الأسئلة الموجَّهة إليه: "وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال مختلفة بهذا الصدد في الأحاديث، يُنبئ اختلافَ محتوياته - ويترشَّح من أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً - عن أنه لم يقله بناءً على الوحي، بل قاله على الظنّ والقياس"[٣٩].

ومما جاء في كلام الأستاذ المودودي حول حديث "الجساسة"، يظهر منه جلياً تشكيكُه في هذا الحديث، حيث إنه في رأيه من الأساطير، وأنه ليس مما أُوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل قاله على الظنّ والقياس. مع أنّ الحديث صحيحٌ، وإخراجُ الإمامِ مسلمٍ له في الصحيح كافٍ في الحكم عليه بالصحة ووجوب قبوله ، لما علم من مكانة أحاديث "الصحيح" وتلقّي الأمة لها بالقبول ، كما أن رجال هذا الحديث كلهم ثقات عدول لا مطعن في واحد منهم.

الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي (١٩٠٤-١٩٩٧م):

هو العالم المفسِّر المؤلِّف. وُلد في قرية "بَمْهُوْر" من مديرية "أعظم كره" في شمالي الهند. درس في "مدرسة الإصلاح" ونُسب إليها، ثم لازم مؤسِّسَها العلامة المفسِّر الشيخ حميد الدين الفَرَاهِي (ت١٩٣٠م) وتخرَّج عليه في علوم القرآن. انضمَّ إلى "الجماعة الإسلامية" لمؤسّسها الأستاذ المودودي، وتقلَّب فيها مناصب مهمة، وكان من الأعضاء المتحمسين لها، بل كان يُعتبَر الرجلَ الثاني فيها بعد المودودي، إلا أنه اعتزل عنها، وانقطع إلى التأليف والتصنيف. وله مؤلفات عديدة، ومن أشهرها "تدبُّر القرآن" بالأردية في مجلدات ضخام[٤٠].

وأما موقفه من السنة فهو يظهر جلياً مما أبداه من آرائه حول السنة التي تخالف إجماع الأمة، فأورد من خلالهاالشبهات حول بعض الأحاديث التي يأباها العقل العام في أول وهلة على زعمه، ومنها هذان الحديثان:

١) حديث معاريض إبراهيم عليه السَّلام، الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه[٤١] عن أبي هريرة رضي الله عنهعن النبي صلى الله عليه وسلم.وورد هذا الحديث في حديث الشفاعة الطويل حين

[٣٧] أبو الأعلى المودودي، **الرسائل والمسائل**، (٤٦/١).

[٣٨] المرجع السابق، (٤٧/١).

[٣٩] المرجع السابق، (٤٧/١، ٥٠).

[٤٠] الجهني، مانع حماد، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، بزيادة من الباحث.

[٤١] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه ...) ، ص٦٠٩، برقم (٣٣٤٠)، ومسلم بن الحجاج القشيري، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منْزلةً فيها، ص١٠٣، برقم (١٩٤).

يأتي الناسُ إبراهيمَ - عليه السَّلام - للشفاعة فيقول لهم: "إنَّ رَبِّيْ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ... ، وإنِّيْ قَدْ كُنْتُ كَذِبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ... اذْهَبُوْا إلَى غَيْرِيْ".

٢) وحديث "لَطَم موسى ملكَ الموتِ ففقأ عينَه"، الذي أخرجه البخاري في صحيحه[٤٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أُرْسِلَ ملكُ الموتِ إلى موسى - عليه السَّلام - فلمَّا جاءه صَكَّه، فرَجَع إلى ربِّه فقال: أرسلتَني إلى عبدٍ لا يُريد الموتَ. قال: ارجِعْ إليه، فقل له يضع يدَه على مَتْن ثَوْرٍ، فله بما غَطَّتْ يَدُه بكل شَعَرَةٍ سَنَةٌ. قال: أي ربّ ثم ماذا؟، قال: ثم الموتُ. قال: فالآنَ. قال: فسأل اللهَ أن يُدْنِيَه من الأرض المقدَّسة رميةً بحَجَرٍ". قال أبو هريرة ﷺ: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إلى جَانِبِ الطَّرِيْقِتَحْتَ الْكَثِيْبِ الأَحْمَر».

فهذان من الأحاديث التي حاول الجهمية والمعتزلة قديماً التشكيكَ فيها وأنكروها[٤٣]، وقد ذهب الأستاذ الإصلاحي مذهب هؤلاء في ذلك، وتردَّد في قبولهما بحجة أن العقل العام يأباه!، فقد ردَّ عليه الشيخ محمد إسماعيل السلفي (ت١٣٨٧هـ) فقال: "فليعلم الإصلاحي أن الأنبياء - عليهم السلام - تمرّ بهم مثلَ هذه المراحل في حياتهم، التي تتسامى عن (العقل العام)، فمن بدأ يكيل مثل هذه الأمور بمكيال (العقل العام) يبوء بالخيبة، ولا يتمتَّع بالراحة والاطمئنان إلا أن ينكرها، ويوفِّر للعقل بذلك متاعاً زائفاً من الثقة والاعتماد..."[٤٤].

الأستاذ جاويد أحمد الغامدي (من مواليد ١٩٥١م):

هو باحث إسلامي معروف في باكستان، من كبار تلامذة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، وقد تأثَّر بأفكاره، وأخذ على عاتقه نشرها، وأصدر لأجل ذلك مجلةً بالأردوية باسم "إشراق" والأخرى بالإنكليزية، وأسَّس مركزاً علمياً باسم " معهد المَورِد للعلوم الإسلامية"، ويقوم من خلاله بتعليم الشباب المثقَّف العلوم الدينية بعقلية متفتِّحة ومنهج عقليّ منحرف، وكان لأفكاره تأثير محدود في باكستان، ولكنه منذ بدأ يدير حركةً فكريةً عبر وسائل الإعلام الإلكترونية الشعبية في باكستان، ويظهر على القنوات الفضائية؛ استغلَّالفُرَصَ، وبدأ يبثّ من خلالها سموم أفكاره بأسلوب لَبِق جذّاب مما ترك تأثيراً كبيراً في الطبقة المثقفة لا سيما الشباب. وله العديد من الكتب باللغة الأردوية والإنكليزية في ترويج أفكاره[٤٥].

---

[٤٢] البخاري، **الجامعالصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعده، ص٢٦٢، برقم (٣٤٠٧)، ومسلم في **الصحيح**، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، ص١٠٤٣، برقم (٢٣٧٢).

[٤٣] انظر: صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٢٣٢.

[٤٤] محمد إسماعيل السلفي، **موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي**، ص١٢٧، ١٢٨.

[٤٥] انظر لترجمته: en.wikipedia.org/wiki/Javed_ Ahmed_ Ghamidi

وأما موفقه من السنة فإنه جعل تصوُّرَها في إطار محدود، يعني السُّنَن عنده هي التي وُجد في شريعة إبراهيم - عليه السلام - ونفَّذها النبيُّ صلى الله عليه وسلم على أفراد أمته بعد إجراء بعض التعديلات كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِاتَّبِعْمِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾[النحل: ١٢٣][٤٦].

لقد ظهر حديثاً العديد منالكتب بالأردوية للرد على أفكار الغامدي وتحذير المسلمين منها، ومن أهمّها ما ألَّفه الأستاذ محمد رفيق في سلسلته باسم: "ما هو مذهب الغامدي؟"، و"جاويد الغامدي وفتنة إنكار الحديث"، و"دراسة نقدية وتحليلية لفتنة الغامدي" وغيرها.

(ج)المدرسة البِدْعِيَّة:

التي تمثِّلها جماعة "البَرَيْلَوِيَّة"، وهي جماعة صوفية بدعية خرافية، تنتمي إلى الشيخ أحمد رضا خان البريلوي (ت١٣٤٠هـ)، نشأت في الهند أيام الاستعمار البريطاني بدعمٍ كامل منه[٤٧]. اشتهرت هذه الجماعة بالغلوّ الشديد في الأنبياء والأولياء، وقد رَدَّ على معتقداتها الباطلة الأستاذ إحسان إلهي ظهير في كتابه "البريلوية: عقائد وتاريخ".

موقف هذه الجماعة عن السنة:

ليس موقف هذه الجماعة من السنة النبوية إنكارها الصريح لها أو استخفافها الشنيع منها، مثل مواقف جماعات وحركات أخرى من السنة، التي سبق الحديثُ عن بعضها آنفاً. بل من موقف هذه الجماعة من السنة: مخالفتها لِما جاء في الأحاديث النبوية الصحيحة من التحذير من الابتداع في الدين، وكذلك اتكاء هذه الجماعة على السنة لترويج بِدَعها ومعتقداتها الباطلة[٤٨].

يتبيَّن مما سبق في هذا المطلب: أن المنتمين إلى إحدى هذه المدارس الثلاثة لم يكونوامنكرين للسنة إنكاراً صريحاً، بل كان من مذهبهم تقديم عقولهم في فهم السنة النبوية، فكانوا يقبلونها ما وافقتها، ويردّونها ما لم تُوافِقها، أو يؤوّلونها بتأويلات واهنة تُخالِف مذهبَ الجمهور، أو يُخالفون الأحاديث الصحيحة في نشر بِدَعهم وخرافاتهم،مما أدَّى ذلك كله إلى الاستخفاف من السنة النبوية لدى عامة الناس.

المطلب الثاني: الفِرَق والجماعات التي ذهبت إلى إنكار حجية السنة كلياً:

وهذا الاتجاه -في الحقيقة - ليس بجديد، بل هوعميق الجذور في التاريخ، ولكن معالمه قد اندرست مع تعاقُب الأزمان، ولكن في العصر الأخير نشطت هذه الفتنة من جديد في بعض بلدان العالم الإسلامي والعربي تحت رعاية الاستعمارات الأجنبية، متاثرةً بأفكار العصرانيّين ودراسات المستشرقين، كما ظهرتبقوة ونشاط في القارة الهندية في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، في صورة فِرَق مثل

[٤٦] حافظ محمد زبير وحافظ طاهر إسلام عسكري، **أفكار غامدي دراسة وتحليل**، ص٣٥.

[٤٧] وأتباع هذه الجماعة يتبعون المذهب الحنفي، وهو في براءة من معتقداتهم الخرافية وأفعالهم المخالفة لأهل السنة.

[٤٨] انظر: إحسان إلهي ظهير، **البريلوية: عقائد وتاريخ**، ص١٠٢.

"القاديانية" ثم "أهل القرآن"، واتخذت فيها شكلاً منظماً،والتي سأتحدَّث عنها بشيء من التفصيل في هذا المطلب.

(أ) القاديانية[٤٩]:

كانت حركة السيد أحمد خان العصرانية قد مهَّدت لظهور "القاديانية" بما بثّته من الأفكار المنحرفة. فاستغلَّ الاستعمارُ البريطاني هذه الظروفَ فصنعوا "الحركة القاديانية"، واختار لها رجلاً من أسرة عريقة في العُمالة[٥٠]، والذي كان يُدعَى"المِْيْرزا غُلام أحمد القادِيَاني[٥١]" (١٨٣٩-١٩٠٨م)، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن وموالاتها للاستعمار البريطاني، فنشأ - غلام أحمد - منذ صِغره وفياً للاستعمار ومطيعاً ومولياً له، وبقي على ذلك طول حياته[٥٢].فنشأت هذه الطائفة سنة ١٩٠٠م في بلاد الهند بدعم كامل وتخطيط مدبَّر من الاستعمار البريطاني، ونشطت في القارة الهندية وخارجها.وقد أعلن المؤتمر الإسلامي (الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة) في عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، كُفْرَ هذه الطائفةِ وخروجَها عن الإسلام[٥٣].

موقف القادياينة من السنة:

طعن مؤسِّس هذه الطائفة غلام أحمد في جميع الأحاديث الواردة في فضل الجهاد، وأنكر رفعَ عيسى عليه السلام، وحرَّف الأحاديثَ الواردة في هذا الشأن، ثم ادَّعى النبوةَ، وأنكر جميع تلك الأحاديث التي كانت تفنِّد دعواه الباطلة، وتكشف عن زيغها وانحرافها، وتُظهِر سُخفها وهرائها[٥٤].

(ب) أهل القرآن:

لقد تأثَّر بفكرة السيد أحمد خان في إنكار السنة لأجل مكانته العلمية الكبيرة في الأوساط المسلمة في الهند، بعضُ أدعياء العلم وجهلاء الدين وضعفاء العقيدة، وكان على رأسهم "مولوي جراغ علي" كما أسلفتُ، وكان لأفكارهما حول السنة تأثير كبير وبعيد، فإنها مهَّدتْ الطريقَ أمام "القرآنيين" ليُعلنوا عن خبايا نفوسهم من إنكار السنة كلها، وأخذوا يدعون إليها كحركة علمية ثقافية تقدُّمية، فاغترَّ بالانضمام إليها بعضُ البُلَه ومَن لا صلةَ لهم بالعلوم الدينية من العامة والمثقَّفين[٥٥]، فيزعُمون أن القرآن الكريم يكفي لكل ضرورة، ولكل حكم ومسألة، وأنّ عقلهم وفهمهم يكفي لتفسيره وشرحه، ويريدون بذلك القضاء على ثروة الأحاديث والفقه، وأن تحلّ محلَّها اجتهاداتهم واستنباطاتهم، فتُصبح هذه الاجتهاداتُ الصورةَ الصحيحة للقرآن الكريم، وثروةً موثوقةً لتعاليم الإسلام الصحيحة[٥٦].

---

[٤٩] وهي تعُرَف كذلك بـ"الأحمدية" و"المرزائية"، ولكنها مشهورة بـ"القاديانة" أكثر من أسماء أخرى لها.

[٥٠] الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، (٤١٨/١).

[٥١] الذي يُنسَب إلى مقاطعة "قاديان" الواقعة في ولاية بنجاب في الهند.

[٥٢] أبو الحسن الندوي، **القادياني والقاديانية دراسات وتحليل وعرض وعلمي**، ص١٦٧.

[٥٣] الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، (٤١٨/١).

[٥٤] صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩٢.

[٥٥] خادم حسين إلهى بخش، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، ص١٠٠،

[٥٦] سيد سليمان الندوي، مقدمته لـ"**تدوين الحديث**" للشيخ مناظر أحسن الكيلاني، ص٢٣.

ثم تعدَّى ذلك إلى صفوف المسلمين، واستفحل بمرور الزمن، حتى نادوا بكفاية القرآن في أمور الدين، وأنه لا حاجة إلى السنة إلا فيما يوافق هواهم[٥٧]، وما أنْ حلَّ القرن الرابع عشر الهجري حتى ظهرت طائفة "القرآنيين" باسم "أهل القرآن والذكر"، وكان للاستعمار البريطاني دور كبير في تقويتها ليشغل المسلمين بزرع الخلافات بينهم والأفكار الغريبة عن الإسلام، وقد وجد الاستعمار لتحقيق هذا الهدفِ أفراداً عُرف فيهم الانحراف عن الدين؛ ليكونوا عملاءاً له، ينشرون هذه الأفكار بين المسلمين، ويخدمون الأهداف المشبوهة للاستعمار[٥٨]. فبرز في سنة ١٩٠٢م مولوي عبد الله جَكْرَالَوِيّ (ت١٩١٤م)[٥٩]، وبدأ نشاطَه الهدّام لإنكار السنة كلها، وفي نفس الفترة ظهرت شخصية أخرى في شمال شرقي الهند وهو مُحِبّ الحقّ العظيم آبادي[٦٠]، وشارك مع جكرالوي في تأسيس حركة "أهل القرآن"، ثم انضمَّ إليها أشخاص آخرون، الذين ازدهرت على أيديهم هذه الحركة في هذه البلاد، وهم: أحمد الدين الأَمْرَتْسَرِيّ(١٨٦١-١٩٣٦م)[٦١]، والحافظ أسلم الجيراجفوري (١٨٨٠-١٩٥٥م)[٦٢]، وغلام أحمد برويز (١٩٠٣-١٩٨٥م)[٦٣]، الذين كانوا رؤوسَ هذه الفتنة في بلاد الهند[٦٤].

موقف هذه الحركة من السنة:

أما الشُّبَه التي أثارها منكرو السنة من القرآنيين في شبه القارة الهندية فهي تتلخَّص في نقاط تالية:

١) عدمُ كتابة الحديث في عصر الرسولصلى الله عليه وسلم، ولا في عصر الخلفاء الأربعة.

٢) إن الصحابة أدركوا حقيقة نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة سُنَنه؛ لذلك نهوا عن كتابتها.

٣) إن الأحاديث جُمعت أول مرةٍ بعد مئة سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم فقدت تلك المجموعات،وتمَّ جمعُها مرةً ثانيةً من أفواه الناس في القرن الثالث الهجري.

٤) إن الأحاديث الموضوعة اختلطت بالأحاديث الصحيحة اختلاطاً لا يمكن بعده التمييز بين الصحيح والموضوع.

٥) إن المعايير التي اختارها المحدِّثون لنقد الحديث لم تكن كافيةً لمعرفة الصحيح من الموضوع لكون كلِّها تدور حول نقد السند ورجاله، أما المتن فلم يحظ باهتمام المحدِّثين[٦٥].

---

[٥٧] صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩٤.

[٥٨] محمد لقمان السلفي، **اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً**، ص٤٥٧، ٤٥٨، بتصرف وزيادة.

[٥٩] انظر: خادم حسين إلهى بخش، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، ص٢٥، ٣٢.

[٦٠] صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩٨.

[٦١] انظر: خادم حسين إلهى بخش، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، ص٣٣، ٣٩.

[٦٢] انظر: المرجع السابق، ص٤١، ٤٥.

[٦٣] انظر: المرجع السابق، ص٥٤.

[٦٤] أبو الأعلى المودودي، **مكانة السنة التشريعية**، ص١٦.

[٦٥] محمد لقمان السلفي، **اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً**، ص٤٥٨، ٤٥٩، بتصرف يسير.

وهذه بعضُ أشهر الشبهات التي أثارها القرآنيون حول السنة في أساليب مختلطة، ويصوغونها اليوم في عبارات متنوعة في كل مكان، وهي في الحقيقة مأخوذة من كتب المعتزلة والمستشرقين، وقد ردَّ علماء الهند على تلك الشبهات في مؤلَّفاتهم مثل الأستاذ أبي الأعلى المودودي في كتابه "القرآن والحديث" والأستاذ افتخار أحمد بلخي في كتابه "فتنة إنكار الحديث في الماضي والحاضر" والدكتور خادم حسين إلهي بخش في كتابه "القرآنيين وشبهاتهم حول السنة"، فأشبعوا ردودهم بحثاً وتمحيصاً، وأثبتوا بأدلة واضحة وبراهين صريحة أن تلك الشبهات لا تمتّ إلى الصحة بأية صلة.

ومما سبق في هذا المطلب يتضح منه: أنَّ فرقة"القاديانية" قد ذهبت إلى إنكار السنة كلياً، ولكن إنكار هذه الفرقة للسنة لا يعني شيئاًلكونها قد انفصلت انفصالاً تاماً من بين الصفّ الإسلامي،كما أنَّ عداوتها لدين الإسلام معلومة لدى الجميع.أما حركة "القرآنيين" مع انتمائها إلى الإسلام فقد ذهب أصحابها في إنكار السنة إلى أبعد حدود لم يذهب إليها أحدٌ من قبل؛وذلك لأن مُنكرِي السنة قديماً وحديثاً كانوا يأخذون بالسنة العملية المتواترة، كالصَّلاة وهيئاتها وركعاتها، والزَّكاة والحجّ، وما شاكَلَ ذلك من الأمور التي تناقَلها المسلمون جيلاً بعد جيل نقلاً عملياً، ولكن "القرآنيين" أنكروا حتى هذا الجزءَ المتواتر العملي من الإسلام، وقالوا: "لم يبيّن لنا القرآنُ الأمورَ الجزئية إلا قليلاً، وقد تطرَّق في أغلب الأحيان للكليات، فمثلاً أمر اللهُ - سبحانه وتعالى - بإقامة الصلاة، ولم يبيّن لنا مقدارَها، فإن كان الله - سبحانه وتعالى - يريد أن نصلّي كما يُصَلُّون؛ لذكره في آية واحدة مثلاً: صَلُّوا الظهر، والعصر، والعشاء أربعاً، والفجرَ ركعتين، والمغربَ ثلاثاً.

ولا يُمكِن القول بأنَّ مثل هذا التفصيل يزيد في حجم القرآن؛ لأن القرآن الكريم كرَّر الأمرَ بإقامة الصلاة مرات عديدة، فكان يمكن الاكتفاء بذكر إقامة الصلاة مرةً أو مرتين، ثم تذكر التفصيلات لإقامة الصلاة بدلاً عن التكرار، وكذلك الزكاة وهلمّ جراً"[٦٦].

ومن هنا يتضح جلياً: أنَّ "القرآنيين" قد فاقوا جميع منكري السنة قديماً وحديثاً، ووصلوا في رفض السنة إلى نقطة جعلتْ "النبيَّ صلى الله عليه وسلم" مثلَ سائر الناس، وعدَّته في صفوفهم، ونسبوا أنه ليس هناك بون شاسع بين إنكار "الرسول" وإنكار "أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم"[٦٧].

المبحث الثاني

جهود علماء الهند في الدفاع عن السنة والردّ على منكريها من خلال الكتابة والتأليف

لم يكن علماء المسلمين في بلاد الهند مكتوفي الأيدي عن " فتنة إنكار السنة"، التي ظهرت فيها في صورة مختلف تلكالاتِّجاهات والجماعات والفِرَق والطوائف، بل حسَّ هؤلاء بخطورة تلك الفتنة قبل تفاقُم أمرها واستفحالها، فشمّرواعن ساق الجدِّ، وقاموا في وُجوه أصحاب تلك الفتنة، فصمدوا لهم، وبذلوا في سبيل مقاومتهم، وكبحِ جِماحهم، والدفاعِ عن بَيْضَة الإسلام والمسلمين، النفسَ والنفيسَ، الغالي

[٦٦] غلام أحمد برويز، **مقام حديث**، ص٦٧، ٦٨.

[٦٧] محمد مصطفى الأعظمي، **دراسات في الحديث النبوي**، ص٢٨، ٤١، و صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص١٠١.

والثمين، وكان مِن أثر ذلك أنَّ بعض تلك الفِتَن لم يَبْقَ لها من الأثر ما يزيد على أثر بعد عين، فصارت كجسم هامد ليست لها حُشاشة ولا روح.لقد قام هؤلاء العلماء بالردّ على تلك الفتنة وأصحابها تارةً عن طريق المناظرات، وأخرى عن الطريقالكتابة والتأليف، فألّفوا الكثيرَ من الكتب القيمة باللغة العربية والأردوية، والتي يزيد عددها - حسب استقراء الباحث - أكثر من خمسين كتاباً، وأقتصر فيما يأتي على تعريف بعض أهمّ الكتب منها، التي كان لها - ولم يزل - أثر كبير في إخماد نيران تلك الفتنة:

١ - الشيخ مُناظِر أحسن الكيلاني(١٨٩٢ - ١٩٥٦م):

هو العلامة البحاثة، الكاتب المؤلف، وأحد أشهر علماء الهند، ومن كبار الخبراء في مجال التربية والتعليم في وقته. وُلد بقرية "كيلان" في ولاية "بِهار" وتوفي بها. أكمل دراسته كلها في "دارالعلوم ديوبند"، ثم درَّس فيها مدةً، ثم دُعي إلى الجامعة العثمانية بحيدرآياد (الدَّكَنْ) حيث عيِّن أستاذاً في قسم الدراسات الإسلامية ثم رئيساً له. وله كتب قيمة بالأردوية ألَّفها في مختلف الموضوعات الدينية والعلمية والتاريخية والتعليمية، ومن أشهرها: "تدوين القرآن" و"تدوين الفقه"و "تدوين الحديث" و"النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم" و"الاقتصاد الإسلامي"[٦٨].

ألف الشيخ الكيلاني كتابه الشهير المسمَّى بـ"تدوين الحديث" قبل أكثر من سبعين عاماً حين استشعر بخطر تفاقُم المحاولات القديمة الجديدة لإقصاء السنة النبوية من حياة المسلمين بحُجَج واهية وأدلة باطلة، والتي أنكرت جمعَ الحديثِ وتدوينه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأثارت الشبهات حوله بعدم حجيته، فألَّف هذا الكتابَ في تعريف علم الحديث وأهميته وتاريخه وبداية كتابته ونهايته وتدوينه في غاية التحقيق، وفي أسلوب أدبي رفيع سهل يفهمه كل من حصل على شيء من الثقافة العامة. وقد ترك هذا الكتابُ أثره الحميد في الساحة الثقافية الهندية، وحُمد عمله لأنه أدَّى رسالةً مهمة في الحفاظ على المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، كما كان - هذا الكتاب - مصدراً ملهماً لكثير من الدراسات التي جاءت بعده وتناولت موضوعَه باللغتين الأردوية والإنكليزية. ونظراً لقيمة هذا الكتاب العلمية فقد قام الدكتور عبد الرزاق إسكندر بنقله إلى العربية، ثم راجعه المحدِّث المحقِّق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (ت١٤١٧هـ) ثم تلميذه العلامة المحقِّق الشيخ محمد عوامة مراجعةً دقيقة، وطُبع أخيراً بعناية المؤرِّخ المحقِّق الدكتور بشار عواد معروف[٦٩].

٢ - الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (١٣١٧-١٣٩٤هـ):

هو المحدِّث المفسِّر، وأحد العلماء المكثرين من التأليف في القرآن والحديث. وُلد في "بهوفال". درس في "مدرسة مظاهر العلوم" في سهارنفور ثم في "دارالعلوم ديوبند". ثم درَّس مدةً في "المدرسة الأمينية" بدهلي، ثم في "دار العلوم ديوبند"، ثم هاجر إلى باكستان حيث عكف على التدريس في عدة جامعات ومدارس دينية مع اشتغاله بالتصنيف والتأليف، ولم يزل كذلك حتى وفاته[٧٠].ومن أشهر مؤلفاته:

---

[٦٨] انظر: محمد أكبر شاه البخاري، **أكابر علماء ديوبند**، ص١٩٦.

[٦٩] في دار الغرب الإسلامي ببيروت عام ٢٠٠٤م، في (٣٨٢) صفحة.

[٧٠] البخاري، **أكابر علماء ديوبند**، ص٢١٥،٢٢٠.

"معارف القرآن"، و"تحفة القارئ بحل أبواب البخاري"، والتعليق الصبيح على مشكاة المصابيح"، ومنحة المغيث شرح ألفية العراقي في الحديث"، و"حجيت حديث" وغيرها.

لقد ألَّف الشيخ كتاباً قيماً بالأردوية باسم "حجيتِ حديث" واعتنى فيه بذكر العوامل والأسباب التي دفعت الناسَ إلى إنكار السنة النبوية، ثم بيَّن نتائجه المؤثِّرة في الأمة، ثم قدَّم أهمَّ الشبهات التي أثارتها هذه الفتنة حول السنة، واستدلَّ في الردّ عليها بكثير من آي القرآن الكريم الدالة على أهمية اتّباع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بحيث أصبحت ردوده ضربةً قاسيةً على الذين يدّعون بالاكتفاء بالقرآن الكريم فقط للاحتجاج والعمل دون السنة النبوية[٧١].

٣ - الأستاذ أبو الأعلى المودودي(١٣٢١-١٣٩٩هـ)

قد سبقت ترجمته في المبحث الأول فلا داعي لإعادتها هنا،لقد دافع - رحمه الله تعالى - عن الإسلام و كلّ ما يتصل به دفاعاً قوياً في جميع كتاباته ومؤلَّفاته، وكافَحَ بالردّ على منكري السنة لا سيما " القرآنيين" بالردِّ عليهم بالطُّرق التوعوية والمحاضرات والردود العلمية عبر المطبوعات، وردَّ بحزم على كل الشُّبهات حول السنة، ومن أشهر ما كتبه في ذلك"الحديث والقرآن" و"مكانة السنة التشريعية"، فالأولُ عبارةٌ عن مجموعة مقالاته بالأردوية، التي دَّبج يراعه في مختلف أعداد مجلة "ترجمان القرآن" رداً على "القرآنيِّين" وشبهاتهم، من أمثال مولوي أسلم جيراجفوري وغلام أحمد برويز، لقد دحض من خلالها أباطيلهم في إنكار حجية السنة، وأثبت حجيتها من القرآن الكريم نفسه، وعضد كلامَه في ذلك بكثير من الدلائل العقلية والتاريخية،ولذلك يُعتبَر هذا الكتاب مرجعاً جيداً لمن يريد التعمُّق في هذا الموضوع[٧٢].

وأما الكتاب الثاني فألَّفه كذلك باللغة الأردوية باسم "سُنَّتْ كِيْ آيئني حَيْثِيَتْ" (مكانة السنة التشريعية)، وهو كذلك مجموعة من مقالاته التي كتبها في مجلة "ترجمان القرآن"، وذبَّ فيه عن السنة ذباً قوياً، وبيَّن حجيتها بدلائل ساطعة وحجج قاطعة، واستعرض منكري السنة استعراضاً دقيقاً، وكشف عن الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، وأثبت بشواهد تاريخية بأنهم لم يرفعوا نعرات إنكارهم للسنة إلا خدمةً للاستعمار وتأثُّراً بالاستشراق. كما ردَّ على جميع شبهاتهم التي أثاروها في إنكار السنة رداً علمياً وتحقيقياً قلما يوجد مثله في المؤلفات الأخرى التي أُلِّفت في هذا الموضوع[٧٣].

٤ - الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي(١٣١٩ - ١٤١٢هـ):

أحد أجلة علماء الحديث، ومن كبار المحقِّقين الضليعين لكتبه في عصره. وُلد في بلدة "مئو" وتوفي بها. أكمل دراسته في "دارالعلوم ديوبند". أنشأ في مسقط رأسه معهداً لتخصيص الطلاب في علم الحديث النبوي، ودرَّس فيه حتى وفاته. وله إسهام كبير في خدمة الحديث تحقيقاً وتأليفاً، ومن أشهر مؤلَّفاته:

---

[٧١] طُبع هذا الكتاب في لاهور بباكستان في (١٨٤) صفحة.

[٧٢] طُبع هذا الكتاب في مكتبة شِراغ بكراتشي في باكستان عام ١٩٥٤م، في (١٥٠) صفحة.

[٧٣] طُبع هذا الكتاب في إسلامك ببليكيشنَز بلاهو في باكستان عام ١٩٦٣م في (٣٩٢) صفحة.

"الحاوي على رجال الطحاوي"، و"نصرة الحديث في الرد على منكري الحديث"، ومن تحقيقاته لكتب الحديث: "مصنَّف عبد الرزاق" و"مسند الحميدي" وغيرها[٧٤].

يُعتبر المحدِّث الأعظمي من علماء هذه البلاد الأوائل الذين أدلوا دلوَه في هذه المعركة دفاعاً عن السنة، فقد ظهر له العديد من كتابات قيمة ومؤلفات علمية هامّة في الرد على طوائف وفِرَق منكري السنة، ومن أهمِّها وأجلِّها كتابه "نصرة الحديث في الرد على منكري الحديث"، الذي ألَّفهبالأردويةردّاً على أحد منكري السنة، الذي كتب رسالةً باسم "لماذا أنكرتُ الحديث"، دون أن يُفصِح اسمَه، بل تقنَّع بلقب كريم "حقّ غو" (ومعناه: قائل الحقِّ)، فردَّ عليه المحدِّث الأعظمي من خلال هذا الكتاب، وجمع فيه الكثيرَ الطيّب من أخبار كتابة السنة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فمن بعده، ومن الشواهد الدالة على حافظة الصحابة فمن بعدهم، وسيلان أذهانهم وجودة قرائحهم. وبعد ذلك أتبع الشيخُ بالرد التفصيلي على أقوال خصمه وتفنيد أدلته، فأزال سائرَ ما أثاره ذلك الشقي من شبهات حول السنة بدلائل قوية وحجج دامغة من الكتاب والسنة. وكان لهذا الكتاب تأثير كبير في تخفيف نشاط تلك الفتنة في الأوساط العلمية في هذه البلاد، ونظراً للأهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية فقد نُقل إلى العربية، وطُبع بمقدمة الشيخ محمد عوامه[٧٥].

٥ - الشيخ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي(من مواليد عام ١٣٥٠هـ/١٩٣٠م)

هو المؤلف المحقّق، ومن كبار علماء الحديث في العصر الحاضر، وأحد أبرز من دافع فيه عن السنة النبوية في مؤلَّفاته ومقالاته وبحوثه. وُلد في بلدة "مئو" من مديرية "أعظم كره" في الهند، ودرس في"دار العلوم ديوبند"، ثم التحق بجامعة الأزهر، وتخرَّج فيها من كلية أصول الدين بشهادة الليسانس، ثم نال الدكتوراه من جامعة كامبريدج في بريطانية. وعمل أستاذاً للحديث وعلومه في جامعة هارفارد، ثم في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ثم في جامعة الملك سعود بالرياض. ودُعي أستاذاً زائراً في عديد من الجامعات العالمية في الغرب. وله خدمات جليلة في مجال الحديث، ومن أشهر مؤلَّفاته فيه: "دراسات في الحديث وتاريخ تدوينه"، و"منهج النقد عند المحدِّثين"، ومن تحقيقاته: "صحيح ابن خزيمة"، و"موطأ الإمام مالك"، وغيرها. مُنح "جائزةَ الملك فيصل العالمية" في عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، اعترافاً وتقديراً بإسهامه الجليل في هذا المجال[٧٦].

لا شكَّ أنَّ كتابه "دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه" من أهمِّ الكتب التي ظهرت في الدفاع عن السنة النبوية، وما زال له أثر كبير في إزالة الشبهات المثارة حول تدوين السنة وحجيتها، لقد استهدف المؤلف في هذا الكتاب المستشرقين والمستغربين على وجه خاصّ، ومن المستشرقين "شاخت" على الأخص، فأبرز فيه مكانةَ السنة النبوية في الإسلام، وتحدّث عن كتابة السنة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بأقلام الصحابة ﷺ، وأزال الكثيرَ من الشبهات والشكوك التي أثارها المستشرقون حول

---

[٧٤] سيد عبد الماجد الغوري، **أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري**، ص١٣٤، ١٥١.

[٧٥] في دار رحاب طيبة بالمدينة المنورة.

[٧٦] من "**الموسوعة العربية العالمية**"، (٢٨٩/٢)، بتصرف وزيادات كثيرة من الباحث.

الأسانيد بإثباتأن استعمال الأسانيد قد بدأ في وقت مبكّر من عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وبحث مدى إمكانية الوثوق بكتب السنة النبوية.واستعرض أهمَّ إشكالات واعتراضات بعض المعاصرين من الهنود وغيرهم في حجية السنة النبوية، وردَّ عليها في أسلوبٍ علميٍّ راقٍ، وقد نال هذا الكتاب إعجاباً شديداً في الحلقات العلمية، حتى عُدَّ في أوثق وأقوى الكتب في هذا الموضوع، واستحقَّ به المؤلِّف لجائزة الملك فيصل العالمية[٧٧].

٦ - الشيخ محمد سرفراز خان صَفْدَرْ (ت١٤٣٠هـ):

هو المحدِّث الفقيه، الداعية المؤلف، وأحد مشاهير علماء باكستان. وُلد في قرية "جيران دهكي" من مديرية "مانسهره هزاره" الواقعة اليوم في باكستان. أكمل دراستَه الشرعية في دار العلوم ديوبند، ثم قام بالتدريس في عدة مدارس دينية في باكستان وتخرَّج عليه آلاف من العلماء. ألَّف العديد من الكتب في الدفاع عن الإسلام والسنة والمذهب الحنفي[٧٨].

وله كتاب قيم في الرد على منكري السنة من طائفة " القرآنيين"، ألَّفه بالأردوية باسم "إنكار حديث کی نتائج" (نتائج إنكار الحديث)، ومما يتميّز به هذا الكتاب من بين الكتب الكثيرة في هذا الموضوع أنَّ مؤلِّفه - رحمه الله تعالى - قبل أن يخوض في صلب البحث للردّ على شبهات وأباطيل منكري السنة؛ تحدَّث في مستهلّ الكتاب عن أهمّ جوانب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي أسوة حسنة لأمته، ثم ذكر بعضَ الشبهات المثارة حول إنكار السنة وحجيتها، فردَّ على كل منها رداً مؤثّراً ومُفحماً بالدلائل القوية، في ضوء ما كتبه هؤلاء من مقالات وكتب حول إنكار السنة[٧٩].

٧ - الأستاذ افتخار أحمد بلخي:

لم أعثر على شيء من ترجمته غير أنه كان أستاذاً جامعياً، وعاش في باكستان بعد استقلالها عن الهند كجمهورية إسلامية مستقلة.

وله كتاب قيم ضخم في تاريخ فتنة إنكار السنة، ألفه بالأردوية باسم "فتنة انكار حديث کا منظر وبس منظر" (فتنة إنكار الحديث في الماضي والحاضر)، وقسَّممحتوياته في ثلاثة أبواب، استعرض في الأول تاريخ هذه الفتنة، وذكر بعضَ من ذهبوا في بداياتها إلى التشكيك في ثبوت السنة النبوية دون إنكارها الصريح أمثال: السيد أحمد خان ومولوي شراغ علي وعبد الله جكرالوي وأحمد الدين الأمرتسري وغيرهم. وعرض في الباب الثاني جميعَ تلك المحاولات التي ظهرت من قبل طائفة " القرآنيين" في إنكار السنة والاكتفاء بالقرآن احتجاجاً وعملاً به، وردَّ على اعتراضاتهم في السنة بدلائل مقنعة وفي أسلوب علمي جاد. أما الباب الثالث ففضح فيه الكثيرَ من أسرار طائفة " القرآنيين" وغيرها من الطوائف بأنها من خلال اتِّكائها على القرآن، وانتمائها إلى الإسلام تشوِّه صورتَه، وتتلاعب مع شعائره، موالاةً لأعدائه ومداراةً لهم. ولم يكتف المؤلف الفاضل في هذا الكتاب على تاريخ هذه الفتنة في القارة

---

[٧٧] طُبع هذا الكتاب مراراً في المكتب الإسلامي ببيروت في جزئين.

[٧٨] البخاري، **أكابر علماء ديوبند**، ص٥١٠.

[٧٩] طُبع هذا الكتاب في أنجمن إسلامية بغُوْجرانواله في باكستان عام ١٩٨٣، في (١٧٨) صفحة.

الهندية والرد على اعتراضات وشبهات أصحابها فقط، بل قدَّم حلولاً ناجعةً للباحثين في مجال السنة لمقاومة هذه الفتنة والقضاء عليها[٨٠].

٨ - القاضي محمد تقي العثماني (من مواليد عام ١٣٦٢هـ):

هو العالم الفقيه، المؤلفالمكثر، وأحد كبار الخبراء في الاقتصاد الإسلامي. وُلد في "ديوبند" في الهند، وهاجر مع والده المفتي الشيخ محمد شفيع العثماني - المفتي العام لجمهورية باكستان سابقاً - إلى باكستان ودرس هناك في المدرسة التي أسَّسها والده حتى تخرَّج فيها. ثم درس الحقوقَ والقانون الشرعي ونال فيه درجة الماجستير من جامعة كراتشي، ثم سلك في مجال التدريس ولم يزل يعمل فيه إلى جانب اشتغاله بالتأليف والتصنيف.عمل قاضياًللتمييز الشرعي بالمحكمة العليا بباكستان. وهو عضوٌ في مجمع الفقه الإسلامي في كل من جدة ومكة المكرمة. وله مؤلفات قيمة في مختلف موضوعات دينية وشرعية، ومن أهمِّها: "تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم" في مجلدات كبار[٨١].

وله تأليف قيم في إثبات حجية الحديث، كتبه أصلاً بالإنكليزية ليتقدَّم به إلى ندوة عالمية حول ختم النبوة، التي عُقدت في شيكاغو بأمريكا في عام ١٩٨٩م. وهو مطبوعٌ بالأردوية باسم "حجيت حديث"، عرَّف فيه المؤلِّف السنةَ ومكانتها، وتحدَّث عن ضرورة اتِّباعها ثم عن أهميتها في التشريع الإسلامي، ثم تكلَّم عن الوحي وأقسامه بأن السنة كذلك وحي من الله لكنها غير متلوّ، ثم تحدَّث عن جمع الحديث وتدوينه في عهد مبكّر، وكذلك أزال بعضَ الشبهات التي أُثيرت حوله، وكلُّ ذلك في منهج علمي قويموأسلوب عصري رصين كما هو المعهود به في سائر مؤلفاته وكتبه، ولهذا الكتاب فضل كبير في إزالة كثير من الشبهات العالقة بأذهان المثقَّفين حول جمع الأحاديث وتدوينها في عصر مبكّر[٨٢].

٩ - الشيخ الدكتور خادم حسين إلهي بخش (من مواليد عام ١٩٥٣م):

هو الباحث المتخصص في المذاهب الفكرية المعاصرة والغزو الفكري والأديان والفِرَق الإسلامية وغير الإسلامية. وُلد في قرية "بستي ملانة" من مضافات "دَيْرَة غازي خان" في ولاية بنجاب في باكستان. تلقَّى العلمَ في إحدى المدارس الدينية التقليدية في قريته، ثم رحل إلى المدينة المنورة وواصل هناك دراسته المتوسطة والثانوية في دار الحديث، ثم الليسانس في الجامعة الإسلامية، ثم انتقل إلى مكة المكرمة حيث أكمل دراسته في جامعة أم القرى، ونال درجة الماجستير ثم الدكتوراه في العقيدة الإسلامية. مارس التدريسَ في جامعة أم القرى - فرع الطائف - مدةً طويلةً، وهو الآن عضو في هيئة التدريس في كلية التربية قسم الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الطائف. وله كتب وأبحاث منشورة، منها:

---

[٨٠] طُبع هذا الكتاب في مكتبة شِراغ بكراتشي في باكستان عام ١٩٥٤م، في ثلاثة أجزاء في (١٢٣٠)

[٨١] سيد أحمد زكريا الغوري الندوي، **مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي**، (١٥٠/١).

[٨٢] نُقل هذا الكتاب إلى الأردوية، وطُبع مرات في إدارة إسلاميات بكراتشي.

"القرآنيون وشبهاتهم حول السنة" و"أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية"[٨٣].

يُعَدّ الدكتور خادم حسين في أبرز العلماء الذين دافعوا عن السنة في هذا العصر، وذلك من خلال كتابه القيم المفيد "القرآنيون وشبهاتهم حول السنة"، الذي فضح فيه عن كثير من حقائق فرقة "القرآنيين". والكتابُ في الأصل رسالته الجامعية التينال بها على درجة الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.وهو يُعتبَر بحقٍّ من أقوى الكتب التي دافعت عن السنة وردّت على منكريها في هذا العصر. وزَّع المؤلف موضوعات هذا الكتاب في بابين، تحدَّث في الأول عن تاريخ فكرة إنكار السنة قديماً وحديثاً، فسلَّط الضوءَ على تاريخ فرقة "القرآنيين" في القارة الهندية ببيان نشأتهم وتراجم أهمِّ دُعاتهم، وذَكَر فِرَقَهم المعاصرة، مع الإشارة إلى موقف الدولة والعلماء والشعب من أفكار القرآنيين. وبيَّن فيه الأصولَ التاريخية لفكر القرآنيين. وخصَّص البابَ الثاني لدارسة أفكارهموشبهاتهم حول السنة وآرائهم الاعتقادية والتشريعية، وناقشها مناقشةً جيدةً في أسلوب علمي رصين[٨٤].

١٠ - الشيخ الدكتور محمد لقمان السلفي(من مواليد عام ١٩٤٣م)[٨٥]:

هو العالم الباحث المؤلِّف، ومن علماء جماعة "أهل الحديث" النشيطين. وُلد في بلدة "جَنْدَنْبارَة" بمديرية "جَمْبارَنْ" الشَّرقية في ولاية "بِهار" بشمال شرقي الهند. تلقَّى العلمَفي مدرسة دينية في بلدته التي كانت تابعةً لـ"دارالعلوم ديوبند" الشهيرة، حيث درس مبادئ علوم الشريعة. ثم انتقل منها إلى "دارالعلوم الأحمدية السلفية" التابعة لجماعة "أهل الحديث". ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتخرَّج فيها بشهادة الليسانس، ثم نال شهادة الماجستير في الحديثمن المعهد العالي للقضاة ثم الدكتوراه في الحديثمن كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، ثم تولَّى بعض المناصب المهمة في السعودية. وله عدة كتب في الحديث وغيرها، ومنها: "السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام والردُّ على منكريها"، و"اهتمام المحدِّثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحضُ مزاعم المستشرقين وأتباعهم".

أما الكتاب الأول المسمَّى بـ"السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام والردُّ على منكريها" فهو عبارةٌ عن رسالةٍ جامعيةٍ قدَّمها المؤلف إلى المعهد العالي للقضاء بالرياض لنيل شهادة الماجستير في الحديث، فهو يحتوي على أربعة أبواب تسبقها مقدمةٌ، عرض فيها تعريفاً جامعاً للسنة من حيث اللغة والاصطلاح، ثم ذكر إطلاقات لها. ثم بيَّن مكانةَ السنة في التشريع الإسلامي. وأثبت في الباب الأول إثبات حجية السنة مستدلاً بعديد من الآيات في القرآن الكريم ثم بالأحاديث النبوية، ثم بأقوال الأئمة في إجماعهم على اعتبار السنة حجةً.وخصَّ الباب الثاني ببيان منْزلة السنة من القرآن وأهميتها كمفسِّرة وشارحة

---

[٨٣] انظر لترجمته www.eltwhed.com/vb/showthread.php?6519 بعنوان: "لقاء المنتدى مع الشيخ د. خادم حسين إلهي بخش حول المذاهب الفكرية".

[٨٤] طُبع في مكتبة الصديق بالطائف عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، في (٤٨٢) صفحة.

[٨٥] محمد إسحاق بتي، **قافلة حديث**، ص٥٩١.

له. وعرَّف في الباب الثالث ببعض أنواع الحديث ذات صلة بموضوع الكتاب، مثل "خبر الواحد" والحديث المرسَل"، و"الرواية بالمعنى". وأما الباب الرابع فتناول فيه فتنة إنكار السنة،وألقى الضوء على كتابة السنة وتدوينها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم في عهد الصحابة فالتابعين، ثم تحدَّث عن جهود المحدِّثين في حفظ السنة ودورهم في التصنيف في علوم الحديث، ثم جهودهم لمقاومة الوضع، وإلى غير ذلك من مباحث قيمة. ثم درس فتنةَ إنكار السنة في القرن الثاني الهجري والأسباب التي دعت المنكرين إلى ذلك دراسةً علميةً، وردَّ من خلالها على بعض شبههم،ثم تحدَّث عن مؤامرات المستشرقين في تشكيك في صحة الحديث النبوي، والأسباب التي دعتهم إلى ذلك، ثم قام بالرد على بعض شبهاتهم. ثم أطال البحث عن المستشرقين المسلمين الذين وُلدوا في البلاد الإسلامية ولكن عقولهم وقلوبهم تربَّت في الغرب ونمت أعوادهم مائلةً إليه، فعرَّف ببعضهم بذكر أسمائهم، وردَّ على شبههم. وخصهم بالذكر الأستاذ أحمد أمين، ومحمود أبي رية وغيرهما[٨٦].

وأما كتابه الثاني المسمَّى بـ"اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحضُ مزاعم المستشرقين وأتباعهم" فهو كذلك رسالة جامعية له، قدَّمها إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لنيل درجة الدكتوراه في الحديث. ركَّز فيه المؤلفعنايته على دراسة اهتمام المحدِّثين بنقد الحديث من حيث الإسناد ثم المتن، لكون هذا الموضوع من تلك الموضوعات التي أكثر فيها المستشرقون وغيرهم الشبهات والشكوك، فناقشه المؤلف مناقشةً علميةً في ضوء الأدلة الواضحة، وبالأخص شبهة عدم اهتمام المحدِّثين بنقد المتن، وأكثر فيه من ذكر الأمثلة مستخرجاً إياها من بطون الكتب الأصلية في السنة النبوية للاستدلال على أنَّ المحدِّثين عُنوا بنقد المتن تماماً كما عُنوا بنقد السند، كما أثبت أن القواعد النقدية والآراء المدوَّنة في الكتب حول الرجال وُجدت مبادئها منذ عهد الصحابة والتابعين.ثم ردَّ على شبهات المستشرقين ومنكري السنة (من الهند وغيرها من البلدان) حول نقد المتن رداً علمياً، ثم ختم الكتاب بتقديم بعض اقتراحاته المفيدة لتعليم الأجيال الناشئة السنةَ النبوية وعلومها[٨٧].

١٠ - الشيخ الدكتور محمد أبو الليث الخيرآبادي (من مواليد عام ١٩٥٣م):

هو المؤلِّف المحقِّق، وأحد العلماء المتضلعين من علم الحديث. وُلد ببلدة "خيرآباد" التابعة لمديرية "أعظم كره"، ودرس في "دارالعلوم ديوبند"، ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتخرَّج فيها بشهادة الليسانس، ثم حصل على الماجستير فالدكتوراه في الحديث النبوي من جامعة أم القرى بمكة المكرمة. عُيِّن أستاذاً للحديث وعلومه في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ولم يزل فيها. ومن مؤلفاته: "علوم الحديث: أصيلها ومعاصرها"، و"تخريج الحديث: نشأته ومنهجيته"، و"اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها"[٨٨].

---

[٨٦] طُبع هذا الكتاب في دار الوعي عام ١٤٢٠هـ.

[٨٧] طُبع هذا الكتاب في دار الوعي بالرياض، عام ١٤٢٠هـ، في (٥٩٩) صفحة.

[٨٨] انظر ترجمته في آخر مؤلَّفاته المذكورة.

يُعتبَر كتابه "اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها" من الكتب الجيدة في هذا الموضوع، اعتنى فيه بتعريف الفِرَق والحركات والاتجاهات القديمة والحديثة التي أنكرت السنة كلياً، أو ذهبت إلى التشكيك في حجيتها، مثلاً من الاتِّجاهات القديمة الممتدة: اتِّجاهُ جمهور المسلمين قديمهم وحديثهم نحو السنة، واتِّجاهُ القرآنيّين في عصر الإمام الشافعي، واتِّجاهُ الخوارج والشيعة وفِرَقِ المعتزلة نحو السنة. ومن الاتِّجاهات الحديثة نحو السنة مثل: اتِّجاه المستشرقين والمستغربين، واتِّجاه المدرسة العصرانيةوالمدرسة العقلانية ونحوهما، واتِّجاه إنكار السنة في الهند وفي مختلف بلدان العالم الإسلامي والعربي، واتِّجاه تقسيمها إلى تشريعية وغير تشريعية، وغير ذلك من المباحث القيمة التي تناولها الكتابُ بالعرض والنقد في أسلوبٍ علميٍّ جادٍّ[٨٩].

١٢ - الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد(من مواليد عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م)[٩٠]:

هو المؤلِّف المحقِّق، الباحث المترجِم. وُلد في قرية "أونَرْ هوا" من مديرية "غُوْندا" في ولاية "أترابرديش". درس في الجامعة السلفية ببنارس وحصل منها على شهادتَي العالمية والفضيلة. ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتخرَّج فيها من كلية الحديث الشريف بشهادة الليسانس. ويعمل الآن داعيةً في الكويت إلى جانب اشتغاله بالتحقيق والتأليف.وله عدة كتب في الحديث النبوي من التأليف والتحقيق ومنها: "زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً".

خصَّ المؤلف الكتابَ المذكوربتعريف موقف بعض كبار المؤلّفين الإسلاميين المعاصرين من العلماء والدعاة والمفكرين من السنة النبوية سواء أكانوا من الهند أو غيرها من بلدان أخرى، وتحدَّث فيه عما ذهبوا إليه في التشكيك في ثبوت السنة، أو إنكارها في العقيدة والعمل، وإهمال تطبيقها، والإقدام على تحريفها عن ألفاظها ومعانيها، وتأويلها حسب الأهواء، وحملِها على غير محملها خلاف ما ذهب إليه السلف الصالح، وذلك مع تقديم نماذج شبهاتهم وآرائهم حول السنة من كتبهم ومؤلفاتهم، ثم الرد على أهوائهم وآرائهم رداً مفحماً بالدلائل القوية من الكتاب والسنة، وأقوال الأئمة والعلماء، ولكن لم يسلم المؤلِّففي هذا الكتاب من تعصُّبه المقيت لجماعة "أهل الحديث" المشهورة بالدعوة إلى نبذ التقليد للمذاهب الفقهية الأربعة المشهورة، والتتطاوُل والهجوم على أئمتها، حيث إنه عَدَّ في هذا الكتاب بعضَ العلماء المقلِّدين - لا سيما الأحناف -في المستخفين من السنة، فذكر منهم الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، اللذين لا تخفى مكانتها في الحديث النبوي لدى كل من له أدنى ممارسة به[٩١].

---

[٨٩] طُبع في دار الشاكر بسلانجور في ماليزيا عام ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، في (٢٢٥) صفحة، ثم في مؤسسة الرسالة بيروت عام ١٤٣٢هـ/٢٠١١م في (٢١٦) صفحة.

[٩٠] انظر: محمد إسحاق بهتي، **دبستان حديث**، ص٦٢٣، ٦٣٤. وعبد الجبار بن عبد الرحمن الفريوائي، **جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة**، ص٢٩٨ بتصرف وزيادة.

[٩١] طُبع هذا الكتاب في دار عالم الكتب بالرياض في (٥٠٢) صفحة.

الخاتمة:

يُستنتَج مما جاء في هذا البحث: أن السنة النبوية قد تعرَّضت لكثير منالهجمات والأخطار في الماضي والحاضر، ومن أشدّها وأضرّها ما عُرف في التاريخ بـ"فتنة إنكار السنة"، التي تهدم كيانَها من أُسُسه وقواعده؛ لأن أصحاب هذه الفتنة يدعون إلى الاكتفاء بأحد مصدرَي التشريع الإسلامي وهو "القرآن الكريم"، والاستغناء عن المصدر الثاني وهو "السنة النبوية المطهَّرة" بحجة أنَّ القرآن منقول إلينا بالتواتر القطعي الثبوت، بينما "السنة" ظنية الثبوت، ومن ثم لا يجوز الاحتجاج بها.

فالسنّة النبوية أمانة في أعناق المسلمين جميعاً، وإنّ حمايتها، والدفاعَ عنها، ونشرَها وإحياءها؛ واجبٌ شرعيٌّ عليهم جميعاً، لذلك فقد وقف علماءُ الإسلام في كل عصر ومصر لأعداء السنة بالمرصاد، وسدّوا عليهم كل منافذ الدَّسّ والتحريف، ومنهم العلماء الغيورون على السنة النبوية من القارة الهندية، الذين قاوموا تلك الفتنة منذ ظهورها فيها إبّان الاستعمار البريطاني، وقاموا بالرد على أصحابها من خلال كتبهم ومؤلَّفاتهم، التي كان لها دور كبير في تحذير الناس من التأثر بها، ونتيجةً لتلك الجهود المباركة قد خفَّ نشاط تلك الفتنة في بلاد القارة الهندية إلى حدّما، ولكن مع ذلك يُسمَع صداها بين الحين والآخر، ويُلاحَظ نشاطها علنياً عبر وسائل الإعلام المقروءة والمرئية، فلذلك لا بُدَّ من بذل الجهود المزيدة على القضاء على تلك الفتنة باستئصالها من جذورها.